أثر الاقتراض اللغوي على المنجز اللساني الجزائري، الواقع والبدائل من خلال تجربة عبد الرحمان الحاج صالح

The Impact of Linguistic Borrowing on Algerian Linguistic Achievements: Realities and Alternatives through the Experience of Abdelrahman El-Hadj Saleh

لامية شايب

المركز الجامعي عبد الحفيظ بوالصوف ميلة، l.chaib@centre-univ-mila.dz

تاريخ الاستلام: 2023/11/16 تاريخ القبول: 2023/11/26 تاريخ النشر: 2023/12/31

ملخص:

ظل الدرس اللساني العربي بما فيه الجزائري خاضعا إلى تحولات البحث اللساني الغربي باعتبار هذا الأخير مرجعا أساسا للدرس اللساني، إذ يضع الباحث العربي وكذا الجزائري أثناء تلقيه أمام وابل من المصطلحات الكثيرة والمتكاثرة باستمرار والتي هي وليدة فكر غربي ينهل في اصطلاحاته من لغاته الحاوية لهذا الفكر القابلة للتطويع في محاولتها التعبير، مما يجعله أثناء تمثل المفاهيم وتوظيفها واقفا أمام مهمة وضع مصطلح لساني باللغة الهدف 'العربية'، فقد يتوجه البعض إلى "الاقتراض اللغوي" ولعل السبب في ذلك هو تفادي أن توقعه الترجمة في العجز عن تصيد المعنى الدقيق للمفهوم أو محاولة لتدارك تكاثر المصطلحات المتواصل.

بين هذا وذاك نجد للاقتراض اللغوي أثرا سلبيا على اللغة الهدف لا سيما العربية إذ أنها تملك طاقات توليدية تفعّل مخزونها المعجمي وتوظفه بشكل يجعل المصطلح خادما للدرس اللساني.

وترنو هذه المداخلة البحث في تجربة عبد الرحمان الحاج صالح في المصطلح والوقوف على آرائه في واقع المصطلح اللساني، والبدائل التي اقترحها في هذا الصدد انطلاقا من الخلفية المعرفية التي استندت عليها لسانياته..

كلمات مفتاحية: المنجز اللساني الجزائري، الاقتراض اللغوي، الدرس اللساني، المصطلح اللساني، اللغة الهدف.

Abstract:
Arabic linguistics, including Algerian Arabic, has remained subject to the shifts in Western linguistic research, as the latter serves as a fundamental reference for linguistic studies. Arab and Algerian researchers are continually confronted with a plethora of evolving terms originating from Western thought, which draws from languages that are adaptable to the expression of these concepts. This presents a challenge when trying to formulate linguistic terminology in the target language, Arabic.
In response, some resort to "linguistic borrowing" to avoid the pitfalls of translation, as it can be challenging to capture the precise meaning of a concept or address the continuous proliferation of terms. Linguistic borrowing, however, has a negative impact on the target language, especially Arabic, which possesses generative capacities that activate its lexical reservoir and employ it in a way that makes terminology a servant of linguistic studies. This discussion explores Abdelrahman El-Hadj Saleh's experience with terminology and examines his views on the reality of linguistic terminology and the alternatives he proposed, based on the cognitive background underpinning his linguistic studies.
Keywords: Algerian linguistic achievement, linguistic borrowing, linguistic study, linguistic terminology, target language.

المؤلف المرسل: لامية شايب، **الإيميل**: l.chaib@centre-univ-mila.dz

1.مقدمة:

ظل البحث اللغوي العربي أسير النزعة التراثية لفترة من الزمن، وتشبث كثيرٌ من الدارسين بالتراث اللغوي القديم جملة وتفصيلا، رغم ظهور بوادر البحث اللساني في الغرب في تلك الفترة، كما عمد البعض الآخر قبلُ إلى تيسير النحو، فجاءت التأليفات التيسيرية بنزعاتها التعليمية البحتة، لكن النهضة العربية قبل ذلك مثلت لحظة زمنية فارقة من حيث الظروف التي وفرتها فعبّدت الطريق لولوج الدرس اللساني الغربي البلاد العربية، وساهمت البعثات العلمية في تنشيط التأليف قصد التعريف بما وجده الدارسون المنتقلون إلى البلاد الغربية وإلى جانب ذلك عملت الترجمة دورها في محاولة نقل المنجز الغربي الجديد، ورغم أن ما يظهر لمن يقتفي أثر البحث اللساني العربي الحديث هو كثرة الدارسين، غير أن أكثر تلك الدراسات اتسمت بالتقليدية أو بكونها تُساق دون فلترة تناسب طبيعة اللسان العربي وتضفي عليه عنصر التجديد، فلم تقم للدرس اللساني قائمة بحق إلا بجهود جادة من قبل بعض الباحثين العرب في هذا العلم الجديد "اللسانيات"، الذين رأوا أنه من الواجب إعادة النظر بما حظي به التراث اللغوي العربي مستغلين ما كان يتدفق من الدرس الغربي من جهة والعمل على تطويعه بمناهجه ونظرياته من جانب آخر مع ما هو في التراث حتى تصبح صالحة لوصف اللغة العربية وتحليلها وتوظيفها، ومجموع هذه الدراسات عملت على خلق مجال معرفي لساني عربي رغم كل المزالق التي وقع فيها الباحثون أثناء محاولة استيراد النظريات الغربية وإيقاظ التراث من سباته يقظة تخلو من المعيارية والنزعات التعليمية، ولأن الدرس اللساني الحديث والمستحدث اتُفِق على علميته فإنه أصبح محاطا بكمٍّ من الاصطلاحات بداية من تسميته إلى كل المفاهيم والمحتويات التي ارتبطت بوحدات لغوية دالة عليها ومُعرّفة لها، وهي ماتعرف بالمصطلحات اللسانية.

المصطلح والمصطلح اللساني وعلم المصطلح:

المصطلح لغة:

جاء في لسان العرب لابن منظور، 'صلح' الصلاح ضد الفساد، وصلح، يصلح صلاحا وصلوحا وهو صالح وصليح، ورجل صالح في نفسه من قوم صلحاء، وأصلح الشيء بعد فساده: أقامه، والصلح تصالح القوم بينهم، والصلح السلم، وقد اصطلحوا وصالحوا وأصلحوا وتصالحوا مشددة الصاد، قلبوا التاء صادا وأدغموها في الصاد بمعنى واحد[1]. ومنه فالمعنى الواحد هو الصلح والتصالح الذي يفضي إلى الاتفاق.

اصطلاحا:

لا يخرج المعنى الاصطلاحي للمصطلح على الاتفاق والتفاهم والتواضع على المسميات للأشياء، وأن يُتفق على إخراج الكلمة إلى أكثر من معناها اللغوي، ولانجد كقول الشريف الجرجاني في كتابه تعريفات العلوم: "إخراج الشيء من معنى لغوي إلى معنى آخر لبيان المراد"[2]، ونكتفي بتلخيص مفهومه بما قاله الجاحظ: "تحيز تلك الألفاظ لتلك المعاني"[3].

المصطلح اللساني:

بإضافة النعت 'لساني' للمصطلح، يصبح هذا الأخير مرتبطا بعلم اللسان أو اللسانيات، ويصير مدلوله أكثر دقة، إذ هو بهذا النعت وحدة لغوية ذات مفهوم لساني، ومن هذه النقطة ذاتها نشير إلى أنه مرتبط باللسانيات، يطاله ما يطالها من إشكاليات البحث والدراسة أثناء استيرادها إلى العربية باعتبارها علما غربيّ النشأة بغض النظر عن وجود شظايا متفرقة بالدراسات اللغوية العربية القديمة على مساسٍ وتقارب مع كنه اللسانيات الحديثة. إذن فالمصطلح اللساني يواجه ضمن ما يواجه إشكالية التعريب والنقل والنحت والترجمة بما في ذلك الاقتراض اللغوي..

علم المصطلح:

يعتبر علم المصطلح علما قديما من حيث دوره في تقريب المفهوم بإلباسه لفظا دون آخر يعرف به، غير أنه لم يُسمَّ ب'علم المصطلح' صراحة في بداية الأمر، بل وارتبط بتسميته هذه كما هو بعلم الحديث "ولكن كان علم المصطلح ليس علم الحديث بالجملة وإنما غايته أن يكون جزءا من علم الحديث أو هو شيءٌ من متعلقاته التي تتعلق به"[4]، وقد كثّى العلماء والمؤلفون عن المصطلحات بألفاظ عدّة: فهي الحدود عند جابر ابن حيان، ومفاتيح العلوم لدى الخوارزمي والتعريفات عند الشريف الجرجاني وغير ذلك.

وبالنظر إلى التطور العلمي في العصر الحديث وانفجار تخصصاته وتنوعها، دعت الحاجة إلى الاهتمام بكل ذلك الكمّ من الاصطلاحات التي تضبط المفاهيم حسب اختصاصات أصحابها، ودعا هذا الاهتمام إلى إنشاء "علم المصطلح" بشكل صريح، فهو بذلك علم حديث " شهد القرن العشرون مولده، على الرغم من أن توليد المصطلحات ذاتها بدأ منذ أن شرع الإنسان باستعمال اللغة أداة تواصل"[5].

آليات توليد المصطلح:

يختص علم المصطلح بكونه علما واسعا، يمسّ كل العلوم لتشعبه وكثرة المفاهيم التي يحدّها، لكثرة المفردات الضامة لمدلولاتها باصطلاح الألفاظ عليها، وبين علم المصطلح وصناعة المصطلح فرقُ مابين التنظير والتطبيق، " وإذا كان هذا التفريق ضروريا، فإننا نفضل أن يكون اسم المصطلحية اسما شاملا لنوعين من النشاط"[6] علم المصطلح وصناعته.

وتختص المصطلحية بتقاطعها مع العلوم اللغوية لأمرين؛ أولهما أن المصطلح قطعة لغوية أو وحدة لغوية دالة حاملة لمفهوم ما، وثانيهما أن المصطلح اللساني على وجه الخصوص وقضاياه مما شغل الدرس اللساني ويشغله، وصياغته مما أفرده الدارسون بالبحث والدراسة، وذلك لتعدّد التصورات واختلاف الطرق والآليات التي يُستنبتُ بها المصطلح اللساني بغية مواكبة مفاتيح علم اللسان ومنجزاته بشكل عام، وهذا مايقودنا إلى مايعرف بآليات توليد المصطلح، من مجاز واشتقاق وإبدال واقتراض أو استعارة ونحت إضافة إلى التركيب كما رتبها علي القاسمي في حديثه عن وضع المصطلحات.

فالتوليد طريقة من طرق استنبات المفاهيم الجديدة في وحدات لغوية، ووسيلة من وسائل إثراء اللغة، إن كان بإنتاج زادٍ جديد أو بإحياء ما هو ببطون المعاجم أو باستقبال لفظٍ من لغة أصل وفتح باب اللغة لاقتراضه أو استعارته، والتوليد وهو الوضع، يمثل كل من هذين المصطلحين استعمالا مجازيا من ولادة الطفل الجديد، كما لو كانت اللغة امرأة ولودا، فالكلمات المألوفة التي اكتسبناها في طفولتنا والكلمات المولدة توضع بدافع الحاجة والضرورة ويطلق على الكلمات المولدة 'المحدثة' أيضا.[7]

ومن التوليد نقل المصطلح من لغة أصل إلى لغة هدف وقد يعتمد في كثير من الأحيان المعايير المتبعة في تقنيات الترجمة[8]، فالمصطلحات تلك الوحدات اللغوية التي صار من المألوف الآن دخولها من لغة إلى أخرى بالنظر إلى سرعة الدفق العلمي والحضاري عن طريق الاقتراض، لكنّ الاقتراض اللغوي في حدّ ذاته أو ما يعرف بالاستعارة اللغوية كان مدعاةً للقلق اللغوي وهو ما استدعى جهود الدارسين اللسانيين شأنه شأن ما اشتغلوا عليه بشكل جادّ ضمن ترجمة منجرهم اللساني وما أولوه العناية في ذلك.

آلية الترجمة والاقتراض اللغوي:

من أجل استيعاب المفاهيم التي أنتجها الدرس اللساني الغربي، عمل الدارسون العرب، وسنفرد بالذكر الجزائريين على تهيئة اللغة العربية لحمل هذه المصطلحات عن طريق نقلها من لغتها الأصل إلى العربية الهدف معتمدين على آلية الترجمة في توليد المصطلح، واعتبرت الترجمة نظاما مستقلا في ذاته وتجدر بنا الإشارة إلى دورها في تغطية العجز عن توليد المصطلح في كثير من الأحيان باعتبارها بالمقام الأول المجال الأكبر الذي تمرّ عبره اللسانيات ككل إلى العربية وليس مصطلحاتها فحسب، وترتبط الترجمة بآليتي الاقتراض والتعريب وتتقاطع معهما، فالاقتراض اللغوي هو وليد الترجمة إن صح القول أو هو مما يعمد إليه المترجم حين يعمل عمل المصطلحي ، فيلجأ إلى مجاراة المصطلح الأجنبي عن طريق استعارته لمتابعة استخدامه بطريقة توحّد الوضع وتحدث التقارب اللغوي وتُسهم في حمل المصطلح الأجنبي بكل حمولات اللغة الأصل وخصائصها لاسيما الخصائص الصوتية

التي قد تصطدم مع خصائص اللغة الهدف، كما تُسهم في تنمية زاد اللغة الهدف أي العربية بإدخال كلمات جديدة مستعارة على سبيل الاستعمال وبغرضه، وهي على سبيل المجاز تسمى استعارة واقتراضا لكن اللغة المستعيرة لا تعيد الألفاظ إلى لغتها الأصلية أساسا، وهنا فالاقتراض هو إثراء ولو اعترض عليه من حيث الكيف فلا شك يعترضنا من حيث الكمّ.

الاقتراض اللغوي:

لأن الاقتراض لغة هو الدين والسلف والاستعارة فهو على معناه الاصطلاحي نابعٌ من ذلك، فهو اقتراض لغة ما مفردات وألفاظ من غيرها، وهي ظاهرة عرفتها اللغات كثيرا ولم تقتصر العربية فقط عليها، لكنه يشمل في العربية المعرّب والدخيل والأعجمي، ولذا يجدر بنا الحديث عن إشكالية المصطلح اللساني مع آلية الاقتراض اللغوي.

إشكالية المصطلح اللساني: من الترجمة إلى الاقتراض اللغوي

عانى الدرس اللساني العربي من بعض الصعوبات لعلّ أشهرها إشكالية المصطلح اللساني، كما أن العراقيل التي واجهها الدارسون سواء في وضعه أو في محاولة تنظيم الفوضى الاصطلاحية التي امتدّ حجمها ليشمل وصول بعض المفاهيم إلى عشرات الألفاظ التي تحملها والتي ترجّح كل لفظة منها أن تكون المصطلح المناسب، فقد وجد المصطلح اللساني نفسه يشهد العديد من الترجمات باختلاف طرق توليده، والتبس الاستعمال بتعدّد الوضع، ولأن المصطلح اللساني منقولٌ عن الأجنبية، فإن إشكالية ترجمته أحالتهُ في مرات عديدة إلى اقتراضه، وقد اعتُبِر الاقتراض وجها من أوجه التعريب أو هو التعريب ذاته فالعرب " أطلقوا على عملية نقل الألفاظ واستعارتها لفظ التعريب وعلى الألفاظ المقترضة الألفاظ المعرّبة"[9]، وهنا خضع المصطلح اللساني لإشكالية شائكة حول التفريق بين ما عرّب وما تُرجم فالأول استعير في نقله مع شروط خصائص العربية الصوتية والصرفية، والثاني سلك سبيل أخذ المفهوم عن المصطلح الأجنبي والبحث عما يكافئه في اللغة العربية، واتجه البحث انطلاقا من هذه الإشكالية إلى زاوية أبعد حول ما إذا كان للمترجمين والدارسين مرجعا علميا واحدا يمثل لهم القياس الذي يستندون عليه لتوحيد السبل في التمكين للمصطلح اللساني المترجم أو المقترَض بأن يأخذ حيّزه في الدرس اللساني دون فوضى تضخّم وتهوّل صفته الموضوعية ولا إهمال يهوّن من دوره العلمي، وهنا ورغم أن الاقتراض اللغوي في الظاهر لا يعدو أن يكون نقلا مباشرا للمصطلح إلا أنه و كغيره من آليات التوليد لم يكن بالأمر الهين لأن اتفاق الدارسين على اقتراض مصطلح ومن ثم إلى تداول استعماله وتعميمه يوحي إلى إصابة معناه الدقيق وخضوعه لضوابط لعلّ أهمها غاية وضوحه بما ورد عليه في لغته الأصل وتقاطعه في حالة رفضه مقترَضا مع مفاهيم أخرى في اللغة الهدف غير ما يراد في هذا العلم: اللسانيات، فيكون الأَوْلى اقتراضه وتفضيل المدلول العلمي على اللغوي باعتبار أن

المصطلح اللساني مهتمٌّ بعلمٍ لا يدين بغير دين العلمية والموضوعية، وإن الاقتراض حلّ الدارس الجادّ في حال وجد أن غيره من الآليات قد يؤدي إلى خلق ضبابية معرفية أو يفتح باب الجهود الفردية غير المتظافرة لخدمة الدرس اللساني في مجمله، فلما بات وضع مصطلح واحد للمفهوم العلمي الواحد ذي المضمون الواحد في الحقل الواحد[10]، أولى بكثير من إظهار الترف اللغوي العربي وغنى العربية واستغنائها عن الاقتراض. فأصبح الأخذ بهذا الأخير ألزمَ لصفة العلمية والنأي عن فتح باب تعدد المصطلحات الذي أرهق بفوضاه الدرس اللساني وشتت تركيزه، ولم يصل إلى أكثر من تأزيم إشكالية المصطلح اللساني، لا إلى حلّها ولا إلى تجاوزها إلى غيرها من إشكاليات البحث اللساني.

ترجمة المصطلح في الدرس اللساني العربي،(المصطلح المقترَض بديلا)

دخلت بفعل الترجمة إلى مجال التلقي العربي للمنجز اللساني الغربي بنظرياته اللسانية والنقدية، أعدادٌ هائلة من المصطلحات، ولأن مدلولاتها استعصت على كثير من الدارسين العرب أن يتمثلوها بشكل لغوي مباشر فقد لجأوا إلى الاحتفاظ بها كما هي مأخوذة من المصدر، وتمّ تعريبها وذاك هو الاقتراض، وقد رافقته جهود أخرى تمثلت في إتباع عملية الاقتراض بمحاولة إيجاد الصيغة العربية وإضفائها على المصطلح فيما بعد، وهنا نشير إلى أن جهود اللسانيين في ترجمة المصطلح اللساني ووضعه عامة كانت بادئ الأمر جهودا فردية منها ما تقوقع داخل العمل المصطلحي المعجمي ومالبثت أن صارت جهودا جماعية من جهة، ومن جهة أخرى فإنها انبعثت أي الترجمة المصطلحية ضمن الأبحاث اللسانية القادمة من الغرب وتُرجمت ضمن التفكير اللساني ومن سلبيات ذلك ما انجرّ عن ذلك من فوضى وتشويش كثيرا ما عرّضا الدرس اللساني العربي لأن يحيد عن مبتغاه العلمي ودفعه إلى الاشتغال بالتسميات وهذه من أشد الأزمات التي عرفها الفكر اللساني العربي.

وبالحديث عن اللجوء إلى الاقتراض فصوره كثيرة مع أنها لا تنفي لجوء الباحثين إلى اتباع آليات أخرى بما في ذلك الترجمة والترجمة بالتكافؤ وغير ذلك، فإننا نجد تمام حسان حين ترجم phonetics إلى علم الأصوات، و phonology إلى علم التشكيل الصوتي مستندا في ذلك على أساس سوسيري من حيث نظرته إلى ثنائية الكلام واللغة قد عارضه بعض اللسانيين ولم يتفقوا معه حول هذه المصطلحات اللسانية حتى وإن لم يشيروا إلى رفضهم استعمال ترجمته فالاستعمال في حد ذاته يبين تبني المصطلح من عدمه ، فلجأ الكثيرون إلى الاستعارة فقيل: فونيتيك، فونولوجيا[11]، ورغم جهود الدكتور تمام في البحث عن المصطلح العربي وجعل ذلك أولوية في بحثه اللساني إلا أننا نجده يجمع بين الترجمة والاقتراض، فقد اتبعه آلية من آليات صوغ مصطلحاته، والأمثلة كثيرة في قوله: الأنتروبولوجيا، السيمانتيم، السيميولوجيا، الابستيمولوجيا..[12] وغيرها كثير.، وهذا لأنه وجد أن المصطلح الأجنبي له دقة في الدلالة على المقصود الموضوع لأجله كما سبق لنا الذكر.[13]

فترجمة المصطلح الأجنبي إذن كانت تشق طريقها نحو الاقتراض اللغوي بدل المسمى العربي في الأحيان التي يرى الدارس أن المسمى العربي تعوزه الدقة، وهذا لا يعيب اللغة الهدف أي العربية، لأن المصطلح يتميز بالمرحلية في حياته والانتقال الدلالي والوظيفية باعتبار الظرف، ومن صور الاقتراض اتخاذ عبد القادر الفاسي الفهري مصطلح الفونيم والمورفيم للتعبير عن phonème و morphème، متبعا السبيل الأقرب والأدق وهو آلية التعريب، وهو ما جعل المصطلح في أحيان كثيرة واضحا يلقي بالدارس إلى فحواه ويجنبه البقاء على سطحية التسمية فما الغاية من المصطلح إلا التوضيح قدر الإمكان، فكلما كانت الترجمة إضافة للغموض لُجِأ إلى الاقتراض إزالة له، وليس لذلك علاقة بما اعتبره الأوراغي "تقليد القريب ثقافيا أولى من الغريب حضاريا"[14]، بل ربما يكون الاقتراض إظهارا لقدرة العربية على تضخيم عضلاتها واستيعاب مفردات من لغات أخرى تخالفها صرفيا وصوتيا، ومحو الأبعاد الضبابية للمصطلح بمسماه العربي لا سيما إذا كان مركبا اسميا معرفا بالإضافة بأكثر من مفردة، وذاك مما يطعن في علمية المصطلح باعتباره ينشد الاختصار والإيجاز والدقة وإصابة المقصود فيما ينشده بالأساس.

فتفضيل الباحثين العرب الاقتراض اللغوي وبخاصة في بداية استقبال المنجز اللساني الغربي لم يحل دون اشتغالهم في ما بعد على إيجاد المقابل العربي ، لكن من باب الاستجابة إلى التدفق العلمي المتسارع والكثيف الذي يقود إلى الاقتراض بغية المواكبة السريعة للدرس ثم لا بأس في فترات أخرى إعادة معالجة المصطلح بعمل متخصص، وهو من قبيل الحلول التي تُحسبُ ناجعة في ذلك، ونذكر مثالا على ذلك إذ فضّل إبراهيم أنيس التعريب على الترجمة[15]، في مؤلفه 'الأصوات اللغوية' فاستعمل مصطلح الفونولوجيا مثلا ، وعمد في فترات لاحقة إلى استبدالها ب 'التشكيل الصوتي للغة"[16].

الجهد الجزائري في ترجمة المصطلح اللساني؛ (عبد الرحمان الحاج صالح أنموذجا)

لعلّ الذي يعنينا هنا بشكل خاص هو المصطلح اللساني الغربي من وجهة نظر جزائرية، أو المصطلح اللساني من منظور ترجمة جزائري، وإن اللسانيات كباقي العلوم عانت مثلها في وضع ثمرات الدرس الأجنبي في أيادي الباحثين العرب سواء من حيث اللغة أو الأسلوب أو الطرائق المنهجية[17]، ولأن المصطلح اللساني ماهو إلا وحدة لغوية تحمل تصورا جزئيا لقضية من قضايا اللسانيات،والمصطلح اللساني العربي - بين المشرق من جهة والمغرب من جهة بما في مغربه الجزائر- واجه إشكاليات إن على مستوى وضعه أو على مستوى تعدده، فهنا لم تعد الأزمة أزمة اللغة المصدر كما هو الحال لو كانت اللغة الهدف غير العربية ، باعتبار أن تعدد اللغات المأخوذ عنها مما أزم المصطلح اللساني لفترة فقد قيل "لو إننا نأخذ من لغة أجنبية واحدة لهان الأمر لكن المصيبة أن كل قطر يأخذ بحكم ماضيه

القريب عن اللغة الأجنبية التي كانت مفروضة عليه"[18]، فالمغرب تابع أكثر شيء للغة الفرنسية بحكم الماضي الاستعماري بينما المشرق في معظمه تابع إلى الانجليزية.

لم تكن التبعية للغة المصدر فحسب بل جغرافية اللسانيين العرب أدلت بدلوها فاختلفت الجهود باختلاف الرقعة وكان لارتباط بعض الباحثين بجغرافيتهم وانتمائهم إلى طريقة الفهم والتلقي في بيئتهم بهذا العلم 'اللسانيات' دورٌ في مصطلحيته، وما يصدق هذا الرأي أن "المصطلح اللساني ارتبط بأسماء الألسنيين العرب كلما ذكر المصطلح ذكر واضعه وهي ظاهرة تكاد تنفرد بها الثقافة العربية الحديثة"[19]، وهذا إن كان في الظاهر يوحي بطغيان الاجتهاد الفردي لكنه في الأصل مهّد الطريق لأصحاب المنهج السديد والخلفية المعرفية المضبوطة والجهود المنفردة الجادة والمسؤولة في إيقاف القلق الاصطلاحي عند جهودهم،والأخذ بما انفردوا به وتعميمه كما هو الحال مع أبو اللسانيين الجزائريين عبد الرحمان الحاج صالح بداية من تسمية العلم في ذاته إذ تمّ الاتفاق سنة 1978 على استعمال مصطلح اللسانيات والتخلي عن غيره من المصطلحات التي تثير كثيرا من الغموض والالتباس"[20]، فاقتراح التسمية تقدم به عبد الرحمان الحاج صالح، وجغرافية المصطلح الجزائرية من حيث ترجمته اتسعت لتمتدّ إلى باقي المصطلحات وتثبت علميتها الجادة كما أثبتت الدقة واستيفاء شروط المنهجية المصطلحية وأحقيتها في اعتمادها أكثر من غيرها، وما ينطبق على تسمية العلم ينطبق على مصطلحاته الأخرى.

منهجية عبد الرحمان الحاج صالح في ترجمة المصطلح:

عمل الدكتور عبد الرحمان الحاج صالح عملا جبارا في مجال وضع المصطلح وتحديدا ترجمته، وقد قدم مجهودات أغنت البحث اللساني بل ووجهته بعدما كان يسير بفوضاوية، واتبع في ذلك نهج الإفادة والتنقيب عن الفائدة ولم تكن غايته غير ذلك من البحث ككل، فلم يمل إلى التراث ميلا تثنيه الجزمية والتعصب للموروث عن اعتماد الجديد واستخراج الفائدة منه، فلم يكن محافظا ولا مجددا وذاك بدليل قوله: " اكتشفنا في القديم شيئا عظيما ولو اكتشفناه في الحديث لأخذنا به"[21]، فمن أهم السبل التي سار عليها في بحثه:

1.التنقيب عن الفائدة سبب، والوصول إليها غاية:

ذلك ما أدى به إلى حسن استثمار الدرس الغربي وحسن إصابة مدلولات مصطلحاته، واكتشاف الأصيل من خلال إعادة قراءة التراث قراءة بعيدة عن الأحكام المسبقة.

2.الدقة العلمية والتمكن اللغوي:

ليس من المبالغة أن نعتبر جهود عبد الرحمان الحاج صالح فريدة من حيث دقتها العلمية، فقد استند في وضعه المصطلح على مبدأ التدقيق والتمحيص، ووضع حدا للفوضى المصطلحية وعدم

استقرار الباحثين عند تسميات واضحة المفاهيم، فاستقرّ عنده الاصطلاح وذلك لحسن التقنين والتقعيد في وضعه المصطلح ونختص بالذكر في ترجمته تحديدا باعتبار اللسانيات علما غربيا وافدا إلى اللغة العربية وككل العلوم الغربية قام تبنيها عربيا على عملية الترجمة.

اتسمت الجهود المبذولة من قبل الحاج صالح بدقة العالم المتضلع من علمه، فلم تقتصر الدقة لديه في تصحيح اختيار ألفاظ دون أخرى أثناء ترجمة المصطلحات الأجنبية كما هو الحال في استعماله لغة المنشأ بدل لغة الأم، والانغماس اللغوي بدل الحمام اللغوي، والاستغراق بدل التوزيع.[22] وغير ذلك، بل تجاوزت إلى أصغر الوحدات غير الدالة داخل المصطلح، إذ قال أن الألف واللام في 'اللسانيات' تغني عن لفظة 'علم'، وإننا نقول اللسانيات أو علم اللسان. كما أنه دعا إلى استعمال لفظة 'بنوية' لا 'بنيوية' كما ترجم البعض 'structuralisme'، مستندا في النسبة إلى بنية على رأي يونس بن حبيب النحوي، ومما لا شك فيه أن هذا التأصيل للتراث لم يكن تحجرا أو تعصبا إنما كان نتاج عدم التأثر الآلي بما يرد من المصطلحات الغربية وفي الوقت ذاته كان يعتمد إعادة قراءة التراث مع المقارنة بالنظير الغربي ومنه فمما اعتمده:

3.المقارنة بين التراث اللغوي والدراسات الحديثة وما رافقه من حياد علمي:

عمد الدكتور عبد الرحمان الحاج صالح على الموازنة بين قراءة التراث بغية التأصيل للمصطلح اللساني والاطلاع بالنظرة العلمية المحايدة والموضوعية إلى المنجز اللساني الغربي، وهذه الطريقة أكسبت ترجمته الدقة العلمية كما سبق الذكر والأكثر من ذلك أنها أكسبتها التناسق الذي أضفاه على المصطلح إذ يخرجه في صورته مترجما على هيئة المسمى القادر على استيعاب حقيقة المفهوم، فإحياء اللفظ التراثي الأصيل في تجربة مصطلحية حداثية غربية المنشأ هي في الحقيقة وليدة جهد فريد في المقارنة بين المشربين بحياد علمي عظيم.

نظرته للمصطلح: (الترجمة أم الاقتراض أم آليات أخرى)

شكلت قضية المصطلح محورا من المحاور التي اهتم بها عبد الرحمان الحاج صالح، وأفردها عناية خاصة بالبحث، وقد عمل على استثمار إمكانات اللغة العربية في ترجمة المصطلحات، رغم أن الجهود العربية في مجال وضع المصطلح لم تكن قليلة إلا أنها تميزت بكونها جهودا فردية لم تظهر في الصورة العلمية العامة التي تفي شروطها بأن تمنحها الشرعية مقارنة بجهوده، فقد نظر عبد الرحمان الحاج صالح إلى المصطلح على أنه من مكونات العلم التي يجب ولا بدّ أن يوليه بالغ الجهد وأشار بلسان حال بحثه في قضاياه إلى أن التحكم فيه هو من قبيل التحكم في العلم، وتعتبر جهوده من حيث كثافتها وشموليتها من أقرب الجهود إلى مسايرة السرعة التي كانت تتدفق بها الأبحاث الغربية بما تحويه من مصطلحات، وحول الآليات التي اعتمدها في وضع المصطلحات نعود لنؤكد أن غايته لم

تكن الانحياز لآلية ولا التعصب لاتجاه فكري في الوضع "وأننا أكثر ما نلمح عنه المنهجية التي يعمل بها وهي الدقة في وضع المصطلح إما عن طريق الترجمة أو الاشتقاق أو المجاز أو النحت أو التركيب المزجي".[23]

ومنه نستنتج أن الحاج صالح باعتماده الدقة العلمية فإن نظرته للمصطلح ووضعه على أنه مشروع بحث يحتاج فيه الباحث رصيدا من المادة الأولية الخام ألا وهي القراءة وإعادة القراءة المجردتين من الأحكام التي جعلت البحث العلمي قابعا في أحادية فكرية لقرون، وهو تصنيع علمي لا يقف عند حدود التسطيح ولا يكتفي بالترجمات الحرفية أو التعريب العقيم اللذين لا ينمان عن أكثر من مقارنة بالية بين لغة وأخرى أو جهد فردي يزيد من البعثرة المصطلحية ولا يوصل إلى تنظيم علمي سوي البتة، ومنه فإنه انفرد في نظرته إلى المصطلح بازدواجية ولودة تصبّ فيها كل آليات وضع المصطلح، "فقد كانت تتوزع المصطلحات والمفاهيم اللسانية عنده في وجهين، أما أحدهما فهو متعلق بالتراث اللغوي العربي حيث نجده يعيد إحياء بعض المصطلحات التراثية لأنه يراها أكثر مناسبة للدلالة على المفهوم، أما الوجه الثاني فيتمثل في بعض المصطلحات التي هي من ابتكاره، يضعها للتعبير عن مفهوم ما أو مقابلات لمصطلحات غربية"[24].

فالمصطلح المترجم لدى عبد الرحمان الحاج صالح متضمن داخل عملية شاملة لوضع المصطلح وليست الترجمة هي المحرك الأساس للعمل المصطلحي فحسب... إن عملية الوضع هي أعمق من استعمال ظاهر إنها الاستعمال الحقيقي الذي اشتغل عليه الدكتور وتتبعه بالدراسة من خلال ثنائية الوضع والاستعمال. ففي ترجمة المصطلح يهتم باعتبار الترجمة وجها من أوجه الوضع في تصرف المتكلم في ذلك الوضع اللغوي وكيف يجريه ليكون منسجما مع واقع خطابه، ولهذا فإن الاستعمال الحقيقي ناتج عن تتبع صحيح للاستعمال الحقيقي.

أهم إسهاماته وانفراداته في ترجمة المصطلح:

تعامل عبد الرحمان الحاج صالح مع المصطلح اللساني بالنظر إلى أنه مصطلح خاص واعتبره وحدة لغوية لها قيمتها في النسق العلمي للسانيات، وكانت إسهاماته في هذا المجال فريدة فقد ظلّ من أبرز اللسانيين الذين تعددت جوانب تعاملهم مع المصطلح، لا سيما المترجم منه، فهو بفضل الحاج صالح أصبح يخيّل إلى الدارس أنه مصطلح خاص بالعربية وذلك جرّاء صوغه الذي اعتمد فيه على تراث الأوائل من جهة كما تمّ الذكر، فالترجمة لديه لم تكن عملية نقل من لغة أصل إلى لغة هدف وإنما هي وافدٌ من المفاهيم تدفع بالباحث إلى تقليب طبقات تراثه وتستفز فيه القراءة العميقة، فزيادة المردود الاصطلاحي ليس استجلابا و إنما إحياء مفيدا مع احتساب الحديث المنطلق منه، ولذا فالمصطلحات في أغلبها كانت تأسيسية؛ أسست للسانيات ونظرياتها وللنظريات التي أتى بها هو شخصيا

على غرار النظرية الخليلية وللمشاريع التي أوجدها كما هو الحال مع مشروع الذخيرة اللغوية، فما هذا المشروع في أصله إلا مرجع أساس في الاصطلاح انفرد به عبد الرحمان الحاج صالح، فهو طريقة مثلى للرجوع إلى المصطلح بالاستناد على الاستعمال الحقيقي الذي لا يريد من الألفاظ ما هو مخزن في بطون معاجم أحاط بها الغبار من كل جانب ونأت عن أيادي التوظيف والاستعمال، بل إن المصطلح عموما بما في ذلك اللساني منه موجود في سياق استعمالاته ومقاماته التبليغية وأحوال خطاباته، فالذخيرة هي تركيز على ما يختزنه التراث مستعمَلا في النصوص المكتوبة ، وما تفعّله نصوص المنجز الراهن والحداثي، فالذخيرة اللغوية مشروع ضخم وإسهام أضخم من أن يختصر في المصطلح التراثي فقط، أو الحداثي فقط، أو المترجم فقط، إنها تضم كل ذلك وتهدف إلى أكثر من ذلك، فقد "تمكن الباحث من النظر الابستمولوجي للعلوم والمعارف وإدراك السياقات المعرفية والفكرية والبيئات الثقافية التي نشأت فيها المفاهيم والمصطلحات والنظريات العلمية ومعرفة الترابط المنطقي بينها."[25].

خاتمة:

كان السعي في هذا المقال إلى النظر في بعض آليات وضع المصطلح اللساني، ولا سيما الترجمة والاقتراض أو الاستعارة اللغوية، وعرضنا إلى ذكر نزر قليل من جهود أحد أعمدة البحث اللساني الجزائري الدكتور عبد الرحمان الحاج صالح، فقد حمل مشروعا لسانيا ضخما، كان البحث الاصطلاحي فرعا من فروعه، وقد اختص فيه بالدقة والعلمية والموضوعية التي لا يسع مقال واحد لذكرها أو تناولها بالدراسة والمقاربة وإنما هو سعي باحثة لا أكثر في تتبع الجهود التي أغنت الفكر اللساني العربي عموما والجزائري على وجه الخصوص، وتحديدا فيما يخص المصطلح اللساني باعتباره الواجهة التي تعكس خلفيةً قوامها جدية الدرس والدارس والعلم والعالم على حد سواء، ومن أهم ما خلص إليه المقال:

الاستقرار على فكرة إعادة البعث للمصطلح العربي في ظل استيراد المنجز اللساني الغربي، بتعميق إشكالياته وعدم اقتصارها في المجمل على سطحية قضية الاقتراض اللغوي من عدمه أو التأصيل التراثي في ظل الترجمة الواجب اعتمادها لاستيراد المنجز الغربي، فالعمل المصطلحي يقتضي عبقرية توفيقية تؤكد أصالة التراث وتطوّع القضايا الحديثة لصالح الدراسة اللغوية العربية سعيا للتكامل العلمي الذي من شأنه الارتقاء بالبحث اللساني لا سيما في مجال مصطلحه، وآليات توليده لاسيما الترجمة والتعريب.

قائمة المصادر والمراجع:

المؤلفات:

- إبراهيم أنيس، اللغة بين القومية والعالمية، (مصر: دار المعارف).

- ابن منظور، لسان العرب، د.ط، المج 3، (بيروت لبنان: دار الجبل ودار لسان العرب، 1988).
- أحمد محمد قدور، مبادئ اللسانيات، (سوريا: دار الفكر، 1999).
- تمام حسان، مناهج البحث في اللغة، مكتبة الأنجلو المصرية 1955.
- الجاحظ، البيان والتبيين، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، ط7، ج1، (مصر: مكتبة الخانجي، 1418هـ، 1998م).
- سميح أبو مغلي، الكلام المعرب في قواميس العرب، (بيروت لبنان: دار الفكر، 1998)، ص08.
- الشريف الجرجاني، التعريفات، ط1، (القاهرة: مكتبة القرآن، 2003).
- صالح بلعيد، مقاربات منهاجية، (الجزائر: دار هومة للطباعة والنشر، 2010م).
- طارق بن عوض الله بن محمد، إصلاح الإصلاح، مكتبة التوعية الإسلامية للتحقيق والنشر، 1429هـ، 2008م، ط1.
- عبد الرحمان حسن العارف، اتجاهات الدراسات اللسانية المعاصرة في مصر (1932، 1985)، ط1، (بيروت لبنان: دار الكتاب الجديد المتحدة)، 2013.
- عبد القادر الفاسي الفهري، اللسانيات واللغة العربية، نماذج تركيبية ودلالية، ط1، (المغرب: دار توبقال، 1985).
- علي القاسمي، علم المصطلح، أسسه النظرية وتطبيقاته العملية، ط2، (بيروت، لبنان: مكتبة لبنان ناشرون)، ص 302.
- محمد الأوراغي، نظرية اللسانيات النسبية دواعي النشأة، ط1، (الرباط: العربية للعلوم، ناشرون، منشورات الاختلاف، دار الأمان لبنان/الجزائر، 2010.
- محمد رشاد الحمزاوي، المنهجية العامة لترجمة المصطلحات وتوحيدها وتنميطها، دار الغرب الإسلامي، بيروت لبنان، ط1. 1986، ص 39.
- محمود السعران، علم اللغة، (بيروت لبنان: دار النهضة العربية).
- مصطفى طاهر الحيادرة، من قضايا المصطلح اللغوي العربي، الكتاب الثاني، ط1، (الأردن: عالم الكتب الحديث، 2003).
- مصطفى غلفان، اللسانيات في الثقافة العربية حفريات النشأة والتكوين، ط1، (الدار البيضاء المغرب: شركة النشر والتوزيع المدارس، 1427، 2006).

الأطروحات:

- د.عبد الحليم معزوز، تأصيل اللسانيات العربية عند تمام حسان وعبد الرحمان الحاج صالح، مقاربة ابستيمولوجية للمرجعية والمنهج،أطروحة دكتوراه(مخطوطة)جامعة باتنة 1، 2016-2017.

المقالات:

- بشير إبرير، الذخيرة العربية مشروع علمي حضاري، مجلة المجمع الجزائري للغة العربية، ع 4، السنة الثانية، (1426هـ، 2006م)، تحديث أصول البحث في التراث اللغوي العلمي، العربي (مجلة المجمع الجزائري للغة العربية) ع4، السنة الثانية (1426هـ ، 2006م).
- خير الدين حقي، وحدة المصطلح العلمي، مجلة اللسان العربي، المكتب الدائم للتنسيق والتعريب، يناير 1965.
- سمير معزوزن، إشكالية المصطلح اللساني عند عبد الرحمان الحاج صالح وأزمة الإشكال، مجلة المرتقى، المجلد2، العدد1، 2019.
- علي القاسمي، العلاقة بين علم المصطلح ونظرية الترجمة، ص 132، نقلا عن مجلة التعريب، محرم(ديسمبر) 2012. العدد 43.
- محمد حلمي خليل، المصطلح الصوتي بين الترجمة والتعريب، مجلة اللسان العربي(الرباط)، العدد 21، 1983.
- محمد صاري، المفاهيم الأساسية للنظرية الخليلية الحديثة، قسم اللغة العربية وآدابها، جامعة عنابة، الجزائر، د.ت.

الهوامش:

[1]ابن منظور، لسان العرب، د.ط، المج 3، (بيروت لبنان: دار الجبل ودار لسان العرب، 1988)، ص 468.

[2]الشريف الجرجاني، التعريفات، ط1، (القاهرة: مكتبة القرآن، 2003)، ص34.

[3]الجاحظ، البيان والتبيين، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، ط7، ج1، (مصر: مكتبة الخانجي، 1418هـ، 1998م)، ص 139.

[4]طارق بن عوض الله بن محمد، إصلاح الإصلاح، مكتبة التوعية الإسلامية للتحقيق والنشر، 1429هـ، 2008م، ط1، ص13.

[5]علي القاسمي، العلاقة بين علم المصطلح ونظرية الترجمة، ص 132، نقلا عن مجلة التعريب، محرم(ديسمبر) 2012. العدد 43، ص 121.

[6]علي القاسمي، علم المصطلح، أسسه النظرية وتطبيقاته العملية، ط2، (بيروت، لبنان: مكتبة لبنان ناشرون)، ص 302.

[7]ينظر المرجع نفسه، ص393.

[8]ينظر محمد رشاد الحمزاوي، المنهجية العامة لترجمة المصطلحات وتوحيدها وتنميطها، دار الغرب الإسلامي، بيروت لبنان، ط1. 1986، ص 39.

[9]سميح أبو مغلي، الكلام المعرب في قواميس العرب، (بيروت لبنان: دار الفكر، 1998)، ص08.

[10]مصطفى طاهر الحيادرة، من قضايا المصطلح اللغوي العربي، الكتاب الثاني، ط1، (الأردن: عالم الكتب الحديث، 2003)، ص 171.

[11]ينظر د.محمد حلمي هليل، المصطلح الصوتي بين الترجمة والتعريب، مجلة اللسان العربي(الرباط)، العدد 21، 1983، ص 97-135.

[12]ينظر تمام حسان، مناهج البحث في اللغة، مكتبة الأنجلو المصرية 1955، ص 177، 194، 208، 233، 234، 235، 249، 250، 251، 252، 253، 259.

[13]ينظر د.محمود السعران، علم اللغة،(بيروت لبنان: دار النهضة العربية) ، ص26.

[14]محمد الأوراغي، نظرية اللسانيات النسبية دواعي النشأة، ط1، (الرباط: العربية للعلوم، ناشرون، منشورات الاختلاف، دار الأمان لبنان/الجزائر، 2010 ص 57.

[15]عبد الرحمان حسن العارف، اتجاهات الدراسات اللسانية المعاصرة في مصر (1932، 1985)، ط1، (بيروت لبنان: دار الكتاب الجديد المتحدة)، 2013 ص 101.

[16]إبراهيم أنيس، اللغة بين القومية والعالمية، (مصر: دار المعارف)، ص25.

[17]ينظر أحمد محمد قدور، مبادئ اللسانيات، (سوريا: دار الفكر، 1999)، ص8.

[18]خير الدين حقي، وحدة المصطلح العلمي، مجلة اللسان العربي، المكتب الدائم للتنسيق والتعريب، يناير 1965.ص30.

[19] ينظر عبد القادر الفاسي الفهري، اللسانيات واللغة العربية، نماذج تركيبية ودلالية، ط1، (المغرب: دار توبقال، 1985)، ص225.

[20] مصطفى غلفان، اللسانيات في الثقافة العربية حفريات النشأة والتكوين، ط1، (الدار البيضاء المغرب: شركة النشر والتوزيع المدارس، 1427، 2006)، ص151.

[21] محمد صاري، المفاهيم الأساسية للنظرية الخليلية الحديثة، قسم اللغة العربية وآدابها، جامعة عنابة، الجزائر، د.ت ص2.

[22] ينظر د.سميرمعزوزن، إشكالية المصطلح اللساني عند عبد الرحمان الحاج صالح وأزمة الإشكال، مجلة المرتقى، المجلد2، العدد1، 2019، ص 26.

[23] صالح بلعيد، مقاربات منهاجية، (الجزائر: دار هومة للطباعة والنشر، 2010م)، ص154.

[24] ينظر د.عبد الحليم معزوز، تأصيل اللسانيات العربية عند تمام حسان وعبد الرحمان الحاج صالح، مقاربة ابستيمولوجية للمرجعية والمنهج،أطروحة دكتوراه(مخطوطة)جامعة باتنة 1، 2016-201 ص250.

[25] بشير إبرير، الذخيرة العربية مشروع علمي حضاري، مجلة المجمع الجزائري للغة العربية، ع 4، السنة الثانية،(1426هـ، 2006م)، تحديث أصول البحث في التراث اللغوي العلمي، العربي (مجلة المجمع الجزائري للغة العربية) ع4، السنة الثانية (1426هـ، 2006م)، ص 44، 45.